الباب الثاني

شعـــره

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

- ديوانه وأغراض شعره
- ديوانه
- الفخر
- الوصف
- الذم والتهديد
- الغزل
- المدح
- الحكم والمواعظ

obeikandl.com

obeikandl.com

ديوان شعره

لعمرو ديوان شعر ولكنه مفقود وممن ذكره:

ـ ابن النديم في فهرسه فقد أشار إلى أن أبا عمرو الشيباني قد صنعه كما ذكر أن أبا سعيد السكري قد صنعه أيضا[١].

ـ ابن حجر العسقلاني فقد نقل عن نسخة من الديوان رواية أبي عمر هذا فيها خط ابن جني[١٢].

ـ البغدادي صاحب الخزانة فقد نقل عن ديوان عمرو الذي يذكر أنه صنعة ابن الأعرابي[٣].

ـ ابن خير الأشبيلي فيما رواه عن أبي بكر بن سراج عن أبي سهل يونس ابن أحمد الحراني دون الإشارة إلى صانعه[٤].

ـ التوحيدي صاحب البصائر والذخائر[٥].

ـ حاجي خليفة ولم يذكر صانعه[٦].

وكان لابن الكلبي كتاب مفقود باسم «أخبار عمرو بن معد يكرب» ذكره ابن النديم في الفهرست[٧] وردت فيه طائفة من أشعار عمرو.

وقد قام الأستاذ هاشم الطعان بعد أن أعياه البحث عن الديوان بجمع شعره وتحقيقه من مختلف الكتب، وقد سلك طريقة فذة في عمله فكان يقوم

---

(١) فهرست ابن النديم / ٢٣٠.

(٢) الإصابة ترجمة عمرو ٥/ ٢١.

(٣) خزانة الأدب بولاق ٣/ ٤٦١.

(٤) فهرست ابن خير ص ٣٩٧.

(٥) البصائر والذخائر ٢/ ٤٩١.

(٦) كشف الظنون ١/ ٨٠٠.

(٧) فهرست ابن النديم ١٤٨.

أولا بدراسة نسب القصيدة ثم يذكر مناسبتها وبعد ذلك يخرجها، وأخيرا يورد النص وقد خرج بعض القصائد في أكثر من تسعين مصدرا كقصيدته[1]:

أمن ريحانة الداعي السميع
يؤرقني وأصحابي هجوع

ومهما يكن فمما لا شك فيه أن ما جمعه الطعان لا يمثل نتاجه الشعري كله، فمثلا كانت بينه وبين العباس بن مرداس حروب ومناقضات في الجاهلية وروى للعباس أكثر من قصيدة في خطاب عمرو بينما لا نجد لعمرو إلا قصيدة واحدة يخاطب بها العباس مع ما هو معروف به من الشجاعة والسيادة والقدرة الشعرية، لا شك إذا في أن هناك طائفة كبيرة من أشعاره قد ضاعت وفقدت.

---

(١) الديوان: ١٣٦.

obeikandl.com

«أغراضه الشعرية»

على الرغم من أنه لم يصلنا إلا القليل من شعره فإننا نجده يعنى بكافة أغراض الشعر العربي المعروفة في زمانه، كالفخر والحماسة والوصف والذم والتهديد والغزل والحكم.

إلا أن معظم شعره كان في الفخر والوصف وكل ما يتعلق بالبطولة ووصف المعارك. فهو القائد الفارس، والسيد الشجاع.

الفخر:

يحتل الفخر مكان الصدارة في شعر عمرو بن معد يكرب، ولا غرو فقد أوتي الشاعر من علو المكانة وخطر الأسرة، وصدق العزيمة، وقوة الشكيمة، وثبات الجنان ما جعل مجال الفخر متسعا أمامه وميدان القول فيه متعدد الجوانب.

ولقد خص الفخر بمعظم قصائده وبثه في أغراضه الأخرى.

فإذا تغزل افتخر بما يروع النساء من شجاعته وفتوته ورجولته، وإذا هجا افتخر بانتصاره على خصومه وبعجزهم عن لقائه وخوفهم منه، وإذا مدح ضمّن مدحه فَخْرَه بنفسه وبقومه وتحدث عن عزتهم وشجاعتهم وفتكهم بالأعداء، وإكرامهم الضيف، وإجابة المستغيث، وحماية المستجير. وإذا خاض غمار الوغى افتخر باقتحام ساحات الحرب والصبر على شدتها واستصغار شأن الأبطال والاستهانة بكثرة السلاح ووفرة العدد.

ومجالات الفخر لديه كثيرة متسعة فهو يفتخر بنسبه العريق، ويفتخر بمجد قومه وشجاعتهم، ويفتخر بالصفات والسجايا التي يتحلى بها.

فهو من أسرة عرفت بالعز والشرف والمنعة والسيادة:

وآوي إلى فـــرع جـــرثـــومـــةٍ وعـــزٍّ يفـــوق يـــد البـــاهش[1]
وسعـــــد أبـــــو حكم منصبي بـــه كنت أعلـــو على الطـــائش[2]

وكان يقـال مذحج مـذحج الطعان[3]، ويقال سنـان العرب مـذحج[4] ويقول دغفل النسـابة حين وقف عليـه جماعة من الأنصـار وسألهم من القوم وقالوا لـه نحن سادة اليمن . . . فأنتم[5] أقودها للزحـوف وأخرقها للصفوف وأضربها بالسيوف رهط عمرو بن معد يكرب .

وهو من قوم سراع إلى الهيجاء :

قـــــومٌ إذا هتف الصريـخُ رأيتهم مـا بين مُلجم مُهْـرَةٍ أو سـافع[6]
هتفت فجـاءت من زبيـد عصابـة إذا طردت فـادت قريبـا فكرت[7]

يغيرون على الأعـداء، ويسلبـون الأمـوال، ويقتلـون الأبطـال، ويسبـون النساء محاربين، أبطال، ، مقاتلين، أقيال صناديد فرسان :

وكم مـن فتيـــة أبنـــاء حـــربٍ على جُـرد ضـوامـرَ كـالقـداح[8]
بســـاهمةٍ بيـــوتَ بني زيـــاد ســوابقُهن كـالحدَأ الصِّحَـاح[9]

---

(١) الديوان : ١٢٤ .
والجرثومـة : الأصل، وفي الإكليل الباهش الرجل الأريحي وفي القـاموس رجل بهش هش بش وفي اللسان بهش إليه يده . . . تناوله
(٢) سعد : هو سعد العشيرة، ومنصبي محل رفعتي .
(٣) العمدة ٢/ ١٩٤ والعقد الفريد ٣/ ٣٣٤
(٤) العقد الفريد ٣/ ٣٣٤
(٥) الأمالي ٢/ ٢٨٤ والعقد الفريد ٣/ ٣٢٧ .
(٦) الديوان : ١٤٥ .
(٧) الديوان : ٤٤
(٨) الديوان : ٥١ ـ ٥٣ .
القداح ـ جمع قدح وهو السهم قبل أن ينصل ويراش، شبه الخيل بها لضمورها .
(٩) فرس ساهم الوجه : محمول على كريهة الجري، والجادي : الزعفران : والحدأ : طيور.

صبحتُ بها بيـــوتَ بني زيـــاد وجُـردُ الخيـلِ تعثـرُ بـالـرمـاح[1]
وصفٍ مـا تسـايـرُ حُجْـرتـاه تبشره الأشـائمُ بـالشيـاح[2]
فلـم نقتـل شرارهـم ولكـن قتلنـا الصـالحين ذوي السـلاح
قتلنـا مُطعمَ الأضيـاف منهم وأصحـابَ الكـريهة والصبـاح
فأثكلنـا الحليلـةَ مـن بنيهـا وخلينـا الخريـدةَ للنكـاح

واقرأ هـذه الأبيات التي يفتخـر فيها بقومـه تجدها سجـلا حافـلا لمآثرهم وحديثا عن أيامهم الماجدة وعزتهم المنيعـة . حديثا عن شجاعتهم ومضائهم وثباتهم ، أذلوا أعداءهم وسبوا نساءهم واستلبوا أموالهم وملكوا الأرض برمتها وفرضوا هيبتهم على الجميع .

وأودٌ نـاصري وبنـو زُبيـد وَمنْ بالخَيفِ مـن حَكَم بن سعد[3]
لعمـرُك لـو تَجَرَّدَ من مُـرادٍ عَـرانينٌ على دُهـمٍ وجُـرْد[4]
ومن عَنْسٍ مُغَـامِـرةٌ طَحُـونٌ مُـدَرَّبـةٌ ومن عُلَـةَ بن جَلْـد[5]
ومن سعـد كتـائبُ مُعْلمات على مـا كـان من قُـربٍ وبُعـد[6]

---

(١) بنو زياد : بطن من بلحارث بن كعب .

(٢) حجرتا العسكر: جانبـاه من الميمنة والميسرة : الأشائم : نقيض الأيامن ، الشياح : الحذار والجد في كل شيء .

(٣) الديوان : ٧٣ ـ ٨١ .
وأود : هو أود بن صعب بن سعـد العشيرة ، وحكم بن سعد العشيرة ، والخيف : ارتفـاع وهبوط في رأس الجبل .

(٤) مراد : هو يحابـر بن مالك بن أدد ، وتجرد للأمر . جد فيه ، والعـرانين : جمع عرنين وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم ، ودهم : للأمر سود . والأجرد الذي يسبق الخيل وينجرد عنها لسرعته .

(٥) مغامرة : مخالطة ، وعنس : هو عنس بن مالك أحد مذحج ، وعلة : هو علة بن جلد بن مذحج .

(٦) سعد : هـو سعد العشيرة ، معلمات يقـال : أعلم الفارس . جعـل لنفسه عـلامة الشجعـان فهو معلم .

ومن جُنْبٍ مُجَنَّبَةٌ ضَرُوبٌ ... لِهَام القوم بالأبطالِ تُردي[1]

وتُجمعُ مَذْحِجٌ فيُرئِّسوني ... لأبرأت المناهِلَ من مَعَدِّ[2]

بكل مُجَرَّبٍ في البأس منهم ... أخي ثِقةٍ من القَطمين نَجْد[3]

وكُلِّ مُفاضةٍ بيضاءَ زَغْفٍ ... وكُلِّ مُعاود الغارات يَخْدي[4]

أؤمُ بها أبا قابوس حتى ... أَحُلَّ على تحيته بجُندي[5]

فما نُهنِهتُ عن بطل كَميٍّ ... ولا عن مُقلعطِّ الرأس جَعْد[6]

إذا ما مذْحِجٌ قذفتْ عليها ... سرابيلا لها من كُلِّ سَرْد[7]

وتركا للرؤوس مُسَبَّغَات ... إلى الغايات من زَغْفٍ وقِدِّ[8]

وهُزَّ السمهريُّ على المَذَاكي ... مُجَنَّبَتَين بالأبطال تردي[9]

وعُرّي بالأكف مُهنَّداتٌ ... وسُلَّ حُسامُها من كل غِمْد

---

(١) جنب: هم بنو يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج، ومجنبة: ميمنة وميسرة.

(٢) أبرأت: أخليت.

(٣) القطمين: جعلهم كالنحول من الإبل مغتلمين، ونجد: شجاع.

(٤) درع مفاضة: واسعة، والزغف: الدرع المحكمة وقيل الواسعة الطويلة وقيل اللينة: وخدَى الفرس: أسرع.

(٥) أؤم: أقصد. أبو قابوس: هو النعمان أحد ملوك الحيرة.

(٦) نهنهت: كففت، والكمي: الشجاع. وفي القاموس: المتقعط الرأس الشديد الجعودة، والمتشد في الأمر، والجعد من الشعر خلاف السبط أو القصير منه ورجل جعد. كريم وبخيل.

(٧) السربال: الدرع... وقيل كل ما لبس فهو سربال.. والسرد: الحلق واسم جامع للدروع.

(٨) الزغف: تقدم معناه، والقد: درع من جلد. وفي القاموس: درع سابغة: تامة طويلة ورجل سبغ كعنق عليه درع سابغة.

(٩) السمهرى: الرمح الصلب العود، والقناة الصعبة، ويقال هي منسوبة إلى سمهر رجل كان يقوم الرماح.

وقال أبو عبيدة: لا يسمى الفرس مذكيا حتى يذهب حضره وتنقطع مراهنته فإن كان كذلك فهو المذكي والجمع المذاكي.

وقُــرب للنطـــاح الكبشُ يمشي ... وطـــاب الموتُ من شَرْعٍ ووِرد (١)
تُخَال البُـــزْل فيهـــا مُقْتِرَاتٍ ... كأن قُبـــولها تكليـلُ أسـد (٢)
هُنـالك بُهمَـة الفـرسـان يُلْقى ... وأصحـاب الحِفـاظ وكل جـد (٣)
أولئـك معشري وهُمُ جبـــالي ... وحُـــزْني في كتيبتهـم وجـــدي
هُمُ قتلـوا عـــزيـــزًا يـــوم لَحْجٍ ... وعَلْقمـةَ بـن سعـدٍ يـوم نَجْـد (٤)
وهم ســـاروا إلى المأمـور شهـــراً ... إلى تِعْشَـــار سيرًا غير قَصْـــدِ (٥)
وهم قسمـوا النســاء بـذي أُراطَي ... وهم عركوا الـذنائب عَرْكَ جِلْد (٦)
وهـم وردوا الميـــــاه على تميـم ... بألـف مُـــدجَّـجٍ شُمْطٍ ومُـــرْدِ
وإخـوتَهم ربيعـة قـد حـوينـا ... فصـــاروا في النِّهـــابِ بغير حَمْد
وهم تـركـوا بِكِنْـدة مـوضحـات ... ومـا كـانـوا هنـاك لنـا بضـد (٧)

---

(١) كبش القوم سيدهم، والشرع تناول الماء بالفم، والورد: الورود إلى الماء.

(٢) البزل: الجمال المسنه، والمقيرات: المطلية بالقار، وقبولها إقبالها، والتكليل: أن يمضي قدما ولا يخيم.

(٣) في القاموس: والبهمة بالضم الخطة الشديدة والشجاع الذي لايهتدي من أين يؤتى والصخرة. والجيش، وفي اللسان الحفاظ: الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب.

(٤) في هامش ذيل الأمالي: ومعجم ما استعجم: عزيز وعلقمة: ملكان من حمير. ولحج ونجد: موضعان.

(٥) في معجم الشعراء ٤٤٣: المأمور من تبراء الحارثي وهو أبو كبشة وكان رئيس بني الحارث بن كعب في الجاهلية دهرا. وفي اشتقاق ابن دريد: المأمور من فرسانهم المذكورين وكانت مذحج في أمره تتقدم وتتأخر وهو الحارث بن معاوية الكاهن. وعند القالي المأمور بن زيد من بني الحارث واسمه معاوية بن الحارث. وعن البكري: المأمور بن زيد من بني الحارث بن كعب. وتعشار: موضع.

(٦) ذو أراطى: موضع به ماء لطيئ، وعركوا: أي قتلوا أهله والعرك الدلك، والذنائب موضع. وعند البكري الذنائب أرض لقيس.

(٧) في اللسان: الموضحة من الشجاج: التي بلغت العظم فأوضحت عنه.

وهـم زاروا بني أســـــدٍ بجيـشٍ ... مع العَبَّــاب جَيشٍ غير وَغْــدِ (١)
وهم تــركــوا هــوازن إذ لَقُــوهم ... وأسلَمَهـم رئيسُهم بجَهْـــــدِ (٢)
وهم تــركـوا ابن كبشــةَ مُسْلَحِبًّا ... وهم شغلـوه عن شُرب المَقَـدي (٣)
وَخَثْعَـمُ لُثِّمـــوا حتى أَقَـــرُّوا ... بِخَــرج في مـــواشيهم ورِفْــدِ (٤)
وهم خَشُّـــوا مع الـدَّيَّـــان حتى ... تغتـم كُل عُضْروطٍ وعبـــــدِ (٥)
وهم أخــذوا بــذي المَرُّوتِ ألفــا ... يُقَسّم للحُصَين ولابـن هنـــدِ (٦)
وهم قتلـــوا بـــذات الجارِقَيْســـا ... وأشعثَ سلسلـوا في غير عقْـدِ (٧)
أتـــانـــا ثـــائرا بـأبيـــه قَيسٍ ... فـأُهلكَ جيشُ ذلكم السَّمغـدِ (٨)
فكـــان فـــداؤه ألفي بعير ... وألفًـــا من طـــريفـات وتُلْـــد
وهم قتلـــوا بـــذي قَلَع ثقيفـــا ... فما عُقلـوا ومـا فـاءوا بـزَنْـدِ (٩)

---

(١) العباب: رجلٌ من بني الحارث بن كعب، واسم العباب، ربيعة بن دُهين، وإنما سمي العبَّاب، لأنه خيله عبَّت في الفرات حين جاءت اليمن.
وفي اللسان: بنو العباب: قوم من العرب سمـوا بذلك لأنهم خالطوا فارس حتى عبت خيلهم في الفرات، والوغد: الخفيف الأحمق.
(٢) الجهد: المشقة.
(٣) عنـد القالي: ابن كبشـة هو الصبـاح بن معد يكـرب أخو الأشعث وكبشـة بنت شراحيل بن آكل المرار. ومسلحب: مطروح مجندل على وجه الأرض، والمقدي: خمر منسوبة إلى مقد قرية بالشام، وفي القاموس والقـدى بتخفيف الدال: شراب من العسل وهو غير منسوب إلى قرية بـالشام ومنه أيضا: والشراب المقدى بالتخفيف غير المقدى.
(٤) لثموا: جرحوا، والخرج: الجعل، والخراج، والرفد: النصيب.
(٥) خشوا: دخلوا ونفذوا، والديان: أبو بطن من بطون بني الحارث بن كعب بن مذحج.
وتغتم من الغتمة عجمة في المنطق، والأغتم من لا ينصح شيئا. عضروط: تابع.
(٦) في معجم ما استعجم المروة واد باليمن، وحصين، وشهاب بني هند من بني الحارث بن كعب.
(٧) ذات الجار: موضع. قاله البكري، وفي غير عقد: بلا ذمة ولا عهد.
(٨) السمغد: الأحمق. وقيل الطويل الحسن السمين.
(٩) في القاموس الزند: موصل طرف الذراع في الكف وهما زندان، والعود الذي يقدح به النار.

وهم سَحَبُوا على الدهنا جيوشا يُعيدُ بهم شراحيل ويُبدي[1]
وهم تركوا القبائل من مَعَدٍّ ضِبابا مُجْحرين بكل حِقْد
وكم من ماجدٍ ملكٍ قتلنا وآخر سُوقة عَزَبٍ وقُمْد[2]
وخصم يعجزُ الأقوامُ عنه شديد الضِّغن أقعسَ مُسْمَغِدّ[3]
حبست سراتهم بالضح حتى أنابوا بعد إبراق ورعد[4]
أُمازحهم إذا ما مازحوني ويُغضي جِدُّهم إن جد جدي
فذاك وقد رجعنَ مُسَوَّمات يَخدنَ وقد قضينا كل حَرْد[5]
فما جمعٌ ليغلب جمع قومي مكاثرةً ولا فردٌ لفرد

وما أروع تصويره لحياتهم المتقلبة:

فيوما ترانا في الخُزُوزِ نجرها ويوما ترانا في الحديد عوابسا[6]
ويوما ترانا في الثريد نبسه ويوما ترانا نكسر الكعك يابسا

أما في مجال الفخر الذاتي بصفاته وسماته وسجاياه، فقد أطال القول فيه وأطنب.

فهو صبور جلد، عاقل راجح، حازم حر، صاحب قول ومشورة، شجاع بئيس لا يخشى الموت ولا يهابه، إذا جد الخطب كان طليعة القوم وحامي

---

(١) في اشتقاق ابن دريد ٤٠٦: شراحيل بن الشيطان بن الحارث رأسهم دهرا وكان بعيد الغارة.

(٢) العزاب: بالضم والتشديد الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء وعزب: معد وغاب. والقمد: الشديد الغليظ.

(٣) الضغن: الحقد، والأقعس: الرجل المنيع والثابت من العز وفي اللسان السمغد: كحضجر الطويل الشديد الأركان والأحمق والمتكبر.

(٤) الضح: الشمس. وفي الحديث: «لا يقعدن أحدكم بين الضح والظل فإنه مقعد الشيطان» مختار الصحاح.

(٥) المسمومة: المعلمة التي عليها السومة والسيماء وهي العلامة. وخد الفرس: ضرب من سيره، والحرد: الغيظ والغضب.

(٦) الديوان ١١٤. الخُزُوز: جمع الخيز، وهي الثياب، العوابس: الذئاب العاقدة أذنابها.

القبيلة وفارسها وسيدها ورئيسها، جواد كريم، سمح الخلق، يرفض الذل ويأبى الهوان، صادق وفي، شهم ذو مروءة وعفة، ذائع الصيت مشهور يحمي الضعيف ويلبي دعوة المستغيث وشعره مليء بالحديث عن هذه الصفات:

أنا أبو ثور ووقاف الزلق(١)
لست بمأفون ولا في خرق(٢)
وأسد القوم إذا احمر الحَدَق(٣)
إذا الرجال عضهم ناب الفرق(٤)
وجدتني بالسيف هتاك الحلق(٥)

يغشى المعارك ويتحدى الأبطال:

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصم(٦)
أنا ابن ذي الإكليل قتال البهم(٧)

---

(١) الديوان ١٥١.

ومكان زلق بالتحريك دحض والمزلقة: الموضع الذي لا تثبت عليه قدم قال تعالى: ﴿فتصبح صعيدًا زلقا﴾ أي أرضا ملساء ليس بها شيء.

(٢) المأفون: الضعيف الرأي والعقل والمتمدح بما ليس عنده. والخرق: الدهش من خوف أو حياء أو أن يبهت فاتحا عينيه.

(٣) حدقة العين سوادها والجمع حَدَقٌ وحِداقٌ وأحداق والتحديق: شدة النظر وأحدقوا به: أحاطوا به.

(٤) الفرق: الخوف.

(٥) الحلق: الدروع.

(٦) الديوان/ ١٦٨

الشهر الأصم: رجب لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتال ولا قعقعة سلاح لإنه من الأشهر الحرم. والأصم محركة: الحقد والحسد والغضب.

(٧) البهم: أولاد الضان والماعز، والإكليل: التاج وكان ملوك اليمن يلبسون التيجان.

مـــــن يلقني يـــــودِ كمـــــا أودت إرم[1]
أتـــــركـــــــه لحما على ظهـــــــر وضـم[2]

سلاحه درع ورمح وفرس عظيمة مطواع :

أعـــاذِلُ عُـــدتي بـــدني ورمحي وكل مقلـصٍ سلسِ القيـــاد[3]

ويكرر فخره بما أعده للحرب، من درع ورمح وسيف وقوس وسهم وفرس كأنه ثور الوحش فى نشاطه :

وأعـــددتُ للحـرب فَضْفَـاضـــةً دِلاصًـــا تَثَنَّى على الـــرَّاهِشِ[4]
وأسمـــــرَ مُطَّـــــردًا ذابـــــلا وسيفَ ســـلامـــةَ ذي فـــائش[5]
حُســـامًـــا تـــراهُ كمثلِ الغـــديـــر عليـــــه كنمنمـــةِ النـــــاقش[6]
وذات غِـــــــرارٍ لهـــــا أنمُـلٌ بَـــــراهـــــا بُـــــراةُ بنـي وابش[7]

---

(١) إرم : اسم قبيلة .

(٢) الوضم : كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب وحصير.

(٣) الديوان ٦٠

والبدن : الدرع القصيرة وقيل الدرع عامة . والمقلص : الفرس العظيمة .

(٤) الديوان ١٢١ ـ ١٢٣ .

الفضفاضة : الـدرع الواسعة . والدلاص : اللينة البراقة الملسـاء ، والراهش في اللسان : القليل لحم الظهر. وفي شرح الأصمعيات : الرواهش : عصب وعروق في باطن الذراع ، وقيل في ظاهره ، واحدتها راهشة وراهش .

(٥) الأسمر : الرمح ، ومطرد : مستقيم ، والذابل : الـدقيق . وسلامة ذي فائش قيل من أقيال اليمن ، وهو سلامـة بن يزيد بن مرة بن عريب بن مـرثد بن يريم بن يحصب اليحصني ، من بني يحصب ابن مالك .

وفائش : واد باليمن كان يحميه .

(٦) النمنمة : خطـوط متقاربـة ، وكتاب منمنم : منقش ، وثـوب منمنم : مـرقوم منقش . والغـدير : القطعة من الماء يغادرها السيل .

(٧) في اللسان الغرار: حد الرمح والسهم ، والأنمل : الصوت ، وبراها : نحتها .

وفي شرح الأصمعيات بنـو وابش : قبيلتان ، بنو وابش بن دهمة بن سالم بن ربعيـة بن مالك بن =

وكُلَّ نحيضٍ فتيقِ الغِـــــرارِ عَــزُوفٍ على ظُفُــرِ الــرَّائش[1]
وســاطٍ كتيسٍ وعــولِ الشِعــافِ إذا ريعَ يــومــا من النــاجش[2]
إذا مــا جــرى قلت شــوذنقــا تنحى عن الــــوابل الحافش[3]

ويصف بطولته في المعركة:

لما رأيتُ نِســـــاءنـــــا يفحصن بـــالمعْـــزاء شَـــدَّا[4]
وبـــــــدت لَمِيسُ كـأنها بـــــدرُ السماء إذا تَبَـــدَّى
وبـــــدت محاسنُهـــــا التي تخفى وكـــان الأمـــرُ جِـــدَّا
نـــــــازلـت كبشَهُـم ولَمْ أرَ من نِـــزالِ الكَبشِ بُـــدَّا[5]
هُـمْ ينـــذرون دَمـي وأَنْـــ ـــذرُ إن لقيتُ بـأن أشُـــدَّا

ويقول أيضا:

ومُـرْدٍ على جُـردٍ شهدتُ طِـرادَهـا قُبيلَ طُلوع الشمس أو حين ذَرَّت[6]

= معاوية ابن صعب بن دومان بن همدان، وبنو وابش بن زيد بن عدوان وهو الحرث بن قيس بن عيلان. وفي شرح الأصمعيات أيضا نقلا عن الشنقيطية: بنو وابش من عدوان، وهم أرمى الناس.

(١) في هامش الأصمعيات عن الشنقيطية: «نحيض: يعني سهما مرققا. فتيق: عريض. غرار: حد. عزوف: تسمع لها صوتا. وقد رويت نحيض في الديوان غيض ولعل ذلك خطأ مطبعي وإنما صحت ذلك نحيض كما في الإكليل ٢/ ١٩٨ والأصمعيات وبقية مصادر النص وعن اللسان: «نصل فتيق: حديد الشفرتين جعل له شعبتان كأن إحداهما فتقت من الأخرى».
والرائش: الذي يريش السهم.

(٢) ساط: الحصان العداء. والشعاف جمع «الشعفة» محركة: رأس الجبل. والناجش: الذي يثير الصيد ليمر على الصياد، أو الذي يحوش الصيد.

(٣) الشوذ: ولد الظبي والنقا: كثيب الرمل، والوابل والحافش: المطر الغزير الشديد.

(٤) الديوان: ٦٨
ويفحصن: يؤثرن من شدة العدو، والمعزاء: الأرض الصلبة.

(٥) كبش القوم: سيدهم.

(٦) الديوان: ٤٣ المرد جمع أمرد، والجرد جمع أجرد، وهو الفرس القصير الشعر. والطراد: هو =

صَبحتُهم بيضـــاءَ يبرقُ بيضُهـــا إذا نَظَـرت فيها العُيُـون ازْمَهَـرَّت[1]
ولما رأيـــتُ الخيـــلَ زورًا كـــأنها جـداولُ زرعٍ أُرسلت فاسبَطـرَّت[2]
وجـــاشَت إليَّ النفسُ أَوَّلَ وَهْلـــةٍ ورُدَّتْ على مَكْروهِهـا فاستقَـرَّت[3]
عَـلامَ تقـولُ الـرُّمـح يثقلُ عـاتِقي إذا أنـــا لم أَطعنْ إذا الخيلُ كَـــرَّت

وهـــو الحامي للضعيف الملبـي دعـــوة المستغيث يقـــول في إنقـــاذ أسرى مذحجيين في هوازن استجاروا به :

ألم تـــرني اذ ضَمَّني البلـــدُ القفـــرُ سمعت نداءً يصدُع القلـبَ يا عمرو[4]
أغِثنـــا فإنـــا عُصْبـةٌ مَـــذحِجيـــة نُنـــاط على وفـــرٍ وليس لنـــا وفـــرُ[5]
تُكلفُنـا يـا عمـرو مـا ليس عنـدنـا هـوازن فانظـر مـا الـذي صنع الدهـر
فقُلـتُ لخيلي انظـــــروني فإنني سريعٌ إليكـم حين ينصَـــدِعُ الفجـــرُ
وأقحمتُ مهري حين صادفتُ غِرةً من القـوم حتى قلت قـد عُقِرَ المهـرُ[6]
فأنجيتُ أسرى مَذْحِـج من هوازنٍ ولم ينجِهـم إلا السكينـــــــةُ والصبرُ
ونـــادوا جميعـــا حُلَّ عنـا وِثـــاقنـــا أخـــا البطش إن الأمـــرَ يُحدثـــه الأمـــرُ

= = مطاردة الفرسان بأن يحمل بعضهم على بعض في الحرب وذرت الشمس : طلعت وظهرت أول طلوعها .

(١) صبحتهم : جئتهم بالكتيبة صباحا ، وبيضاء : يريد كتيبة بيضاء عليها بياض الحديد ، وبيضها : قلانس الحديد على رءوسها واحدها بيضة ، وازمهرت : احمرت من الغضب .

(٢) زور : مائلة ، والجداول : الأنهار الصغار ، واسبطرت : امتدت في سرعة

(٣) جـاشت : حمت من الفزع وفي شرح الأصمعيـات : (وهذا ليس لكـونه جبـانا بل هـو بيان حـال نفسه ، ونفس الجبان والشجاع سواء فيما يدهمها عند الـوهلة الأولى ، ثم يختلفان ، فالجبان يركب نفرته ، والشجاع يدفعها فيثبت) .

(٤) الديوان : ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٥) الوفر بوزن النصر : المال الكثير.

(٦) الغرة : الغفلة .

وأُبتُ بأسرى لم يكن بين قَتْلِهم وبين طعاني اليوم ما دونه فِتر[1]

تخافه الأعداء وتهرب لرؤيته :

لما رأوني فوقَ طرفٍ رائعٍ وَسْطَ الكتيبةِ مثل ضَوءِ الكوكبِ[2]

يختب بي العطافُ حولَ بيوتهم ليست عداوتُنا كبرق الخُلَّبِ[3]

واستيقنوا منا بوقعٍ صادقٍ هَرَبوا وليس أوانَ ساعةِ مهربِ

ويشهد معركة القادسية ويردد هذه الأبيات مفتخرا بقتله رستم قائد الفرس :

أَلْمِمْ بسلمى قبل أن تظعنَا إن لنا من حُبِّها دَيْدَنا[4]

قد علمت سلمى وجاراتُها ما قطَّر الفارسَ إلا أنا

شككتُ بالرمح حيازيمَهُ والخيل تعدو زِيمًا بيننا[5]

وقد أفنى شبابه في القتال حتى دق جسمه وقرح الزناد كاهله :

أعاذلُ إنما أفنى شَبابي ركُوبي في الصريخِ إلى المنادي[6]

مع الفتيان حتى سَلَّ جسمي وأقرحَ عاتقي حملُ النِّجاد[7]

---

(١) أبت : عدت ورجعت ، والفتر: بوزن الفطر ما بين طرف الإبهام والسبابة إذا فتحتهما .

(٢) الديوان / ٣٠

والطرف الرائع : الفرس الكريم العتيق وقيل الطويل القوائم والعنق .

(٣) العطاف : اسم فرس عمر، والبرق الخلب : الذي لا غيث فيه .

(٤) الديوان / ١٧٥

والظعن : الارتحال . وفي القاموس : الديدن والديدان والديددان : العادة .

(٥) الحيزوم : ما استدار بالظهر والبطن أو ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر. والزيم : المتفرق من اللحم ومن الدواب والغارة .

(٦) الديوان : ٦١

وفي اللسان : الصريخ : صوت المستصرخ .

(٧) النجاد : في الصحاح : حمائل السيف ، وفي اللسان : ما وقع على العاتق من حمائل السيف .

ويقول في هذا الصدد أيضا :

أشـــابَ الـــرأسَ أيـــامٌ طِـــوالٌ وهَمٌّ مـــا تَبَلَّعُـــهُ الضُّلـــوعُ (١)

وســـوقُ كَتيبـــةٍ للقـــاء أُخـــرى كأن زهـــاءَهـــا رأسٌ صَلِيعُ (٢)

وإسنـــادُ الأسنـــة نحـــو نَحْـــرِي وهَـــز المَشْرِقِيَّـــةِ والـــوُقـــوعُ (٣)

وقد جمع إلى شجاعته وإقدامه حذرا وحزما، وإلى جرأته وتهوره رفقا وأصالة. وكان عارفا بوقت كل منهما، يقدم إذا رأى الإقدام عزما ويحجم إذا رأى الإحجام حزما وكان يقول :

إذا لم تستطعْ شيئـــا فـــدعـــهُ وجـــاوزه إلى مـــا تستطيع (٤)

وصِلْـــهُ بـــالـــزِّمـــاعِ فكل أمـــر سَمَا لك أو سمـــوتَ لـه وَلُـــوعُ (٥)

وقد دفعه حذره وحزمه إلى الفرار من المعارك حين يشعر بالخطر:

ولقـــــــــد أجمع رِجليَّ بها حـــذَر الموتِ وإني لَفَـــرور (٦)

ولقـــد أَعْطِفُهـــا كـــارِهـــةً حين للنفسِ من الموتِ هَـــرِير (٧)

كُـلُّ مـــــا ذلـك مِنِّـي خُلُـقٌ وبِكُلٍّ أنـــا في الحرب جَـــدِيـــر

---

(١) الديوان / ١٤١ .

(٢) في مختار الصحاح : الزهـو: المنظر الحسن والكبر والفخر ويقال زهاء مـائة : أي قدر مائة . ولعله أراد منظرها، وفي شرح الأصمعيات عن الشنقيطية : رأس صليع : جبل لا نبت عليه .

(٣) الوقوع : المواقعة والقتال .

(٤) الديوان : ١٤٢ .

(٥) الزماع : العزم والتصميم والمضاء في الأمر، والولوع بالفتح مصدر ولعت بالشيء إذا لزمته وتعلقت به .

(٦) الديوان / ١٠٢

والضمير في بها : للفرس أي أركضها وأحثها على الجري .

(٧) الضمير في أعطفها للفرس . أي إنه يعطف الفرس وهي كارهة في الوقت الذي تهرُّ النفس وتضبح من شدة البلوى . والهرير : قيل هو دون النُّباح .

ولقي مرة بني عبس في أبطالهم ففر عنهم وولى هاربا وقال :

أجاعلةً أمَ الثُّويرِ خِزايةً عليّ فِراري إذ لقيتُ بني عَبْسِ[1]
لَقُونا فضَمّوا جانبيْنا بصادقٍ من الطعنِ مثلِ النار في الحطب اليَبْسِ[2]
لقيت أبا شاسٍ وشأسًا ومالكا وقيسًا فجاشت من لقائهمُ نفسي[3]
كأن جلود النمر جيبت عليهم إذا جعجعوا بين الإناحة والحبس[4]
ولما دخلنا تحت فَيء رماحهم خَبَطتُ بكفي أطلب الأرض باللمس[5]
وليس يُعاب المرء من جُبن يومه إذا عُرفت منه الشجاعةُ بالأمس

وما ذلك عيبا ولا جبنا ما دامت شجاعته معروفة وبطولته معلومة .

ويفتخر بما هو عليه من خلق كريم :

فأعددت ذاك وكنتُ امرأً أصُدُ عن الخُلق الفاحِش[6]

واقرأ هذه الأبيات تجدك أمام إنسان حليم كريم سمح الأخلاق :

أعاذلَ إنه مالٌ طريفٌ أحبُّ إليَّ من مالٍ تلادِ[7]
ويبقى بعد حلمِ القومِ حِلمي ويفنى قبلَ زادِ القومِ زادي

ويقول : وقد استعمل أم بمعنى ألْ

يبرونَ عظمي وهمي جبرُ عظمِهمُ شَتَّانَ ما بيننا في كل ما سببِ[8]

---

(١) الديوان / ١١٩ . وأم النوير : هي امرأة عمرو بن معد يكرب .

(٢) في الديوان [حش النار] وفي العقد الفريد ١/ ١٤٦ : مثل النار، ولعله الأصوب

(٣) جاشت : حمت من الفزع ، والمراد بأبي شأس : زهير بن جذيمة العبسي ، وولده شأس وقيس ومالك .

(٤) الجعجعة : صوت الرحا وفي القاموس , النخ السير العنيف ، والحبس : المنع .

(٥) في رماحهم : ظلمها .

(٦) الديوان/ ١٢٣ .

(٧) الديوان / ٦١

في مختار الصحاح ، الطريف من المال المستحدث وهو ضد التالد والتليد .

(٨) الديوان / ٣٦ .

أهـــوى بقـــاءهم وأكثـــرُ مـــا يَهوُون أنْ أغتـدي في حُفـرةِ امْتربِ

واستمع إليـه يتحـدث عن صبره على نـوائب الدهـر وتـوطين نفسـه على اللأواء :

كـم مـن أخٍ لي صـــــــالـحٍ بـــوأتـــه بيَـــديَّ لَحْدَا (١)
مـــا إن جَـــزِعْـتُ ولا هَلِعْـــ ـــتُ ولا يَـــردُّ بُكَـــائي زَنْـــدَا (٢)
ألبستُـــــه أثـــــوابَـــــه وخُلِقْتُ يـــومَ خُلِقْـتُ جَلْـــدَا
أُغِني غَنـــاءَ الـــذاهبين أعـــ ـــــدُ لـــلأعـــداء عَـــدّا
ذهـبَ الـــــــذيـن أُحبهـم وبقيـتُ مثـلَ السيـفِ فـــــردا

ويقول أيضا :

وكـانت على الأيـــام نفسِي عـزيـزةً فلما رأت صبري على الذُّل ذَلَّتِ (٣)
وكم غمـــرةٍ دافعتهـا بعـد غَمْـرةٍ تجرعتُهـا بـالصبرِ حتى تـولَّتِ (٤)

---

(١) الديوان / ٦٩
وبوأته : أنزلته

(٢) الهلع : أفحش الجزع، لأنه جزع مع قلـة صبر. زندا، ورد في شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ١٨٠ أن بعض الشيوخ ذكر أنه أراد ولا يـرد بأي شررة فذكر الزند وأراد ما يخرج منـه عند القدح، وقال : إن أحسن من هذا أن يكون ذكـر الزند تقليلاً لعـائدة الحزن لو تكلَّفه عندمـا دَهِمه من الفجيعة بالأخ المذكور.

(٣) الديوان / ٤٦ .

(٤) الغمرة : بوزن الجمرة : الشدة والجمع . غمر بفتح الميم كنوبة ونوب : وغمرات الموت شدائده .

الوصف

عاش الشاعر العربي في جزيرة واسعة الأطراف مترامية الأبعاد مليئة بالمناظر الصامتة والصور الحية. وطبيعي أن يتأثر بها وينقلها في شعره. فوصف الأطلال، ووصف الحيوان، ووصف الطبيعة ووصف النساء، ووصف الحرب، ووصف السلاح، ووصف كل ما وقعت عليه عيناه، ولقد أصاب ابن رشيق حين قال[1]: «الشعر إلا أقلة راجع إلى الوصف ولا سبيل إلى حصره واستقصائه».

ولقد شارك شاعرنا عمرو بن معد يكرب غيره من الشعراء في هذا الفن وفتن في وصفه بالحرب وما يتعلق بها، ولا غرو فهو الفارس الذي صابر الهيجاء وورد المعامع وشن الغارات وصاول القساورة، فصدح بالشعر الحربي الخالد وملأ به صناجة الزمن وصور فيه الحرب وأدواتها، من درع ورمح وسيف وقوس وسهم وفرس.

فدرعه واسعة براقة ملساء تشبه مساميرها حلق الجراد، ورمحه عنبري له أسنة نارية، وفرسه قوية مدربة:

تمنى أن يلاقيني قُييسٌ ... وددتُ وأينما مني ودادي[2]

تمناني وسابِغَتِي دِلاصٌ ... كأن قتيرَها حَدقُ الجراد[3]

ورُمحي العنبري تخالُ فيه ... سِنانًا مثلَ مقباسِ الزِّناد[4]

وعجلزة يزلُّ اللبدُ عنها ... أمرَّ سراتها حلقُ الجياد[5]

---

(١) العمدة ٢/ ٢٩٤.

(٢) الديوان / ٦٢.

(٣) السابغة: الدرع الواسعة، الدِلاص: اللينة البراقة، القتير: رءوس المسامير في الدروع.

(٤) عنبري، نسبة إلى جلد سَمَك العنبر، أو نسبة إلى قبيلة بلعنبر.

(٥) العجلزة: الفرس الشديد الخلق. اللبد: لبد السرج. السراة: الظهر.

واستمع إليه يتحدث عن فرسه وما أكثر ما تحدث[1] عنها؟ فهي تشبه الثعلب والذئب في سرعة الجري:

أما إذا يعدو فثعلب جريه ... أو ذئبُ عاديةٍ يُعجرمُ عجرمةْ[2]

وهي طويلة القوائم سلسة القياد مطواع:

أعاذلُ عُدتي بدني ورمحي ... وكل مقلصٍ سلسِ القياد[3]

ضخمة جيدة العدو غليظة:

أعددت للحدثان سا ... بغةً وعداءً علندي[4]

واقرأ أبياته التي يتحدث فيها عما أعده للحرب:

وأعددتُ للحرب فضفاضةً ... دِلاصا تثنَّى على الراهش[5]

وأسمر مُطردًا ذابلا ... وسيفَ سلامةَ ذي فائش

حُسامًا تراه كمثلِ الغدير ... عليه كنمنمةِ الناقش

وذات غِرارٍ لها أَنمُلٌ ... براها بُراة بني وابش

وكُلَّ نحيضٍ فتيقِ الغِرارِ ... عزوفٍ على ظُفُرِ الرائش

ومِاطَ كتيسٍ وعول الشعافِ ... إذا ريع يومًا من الناجش

إذا ما جرى قلت شُوذُ نَقًا ... تنحى عن الوابل الحافش

تجده يصف الدرع بأنها واسعة لينة براقة ملساء والرمح بأنه مستقيم

---

(١) في حلية الفرسان ١٥٩ «والعطاف اسم فرس عمرو بن معد يكرب» وفيها يقول:

يختب بي العطاف حولَ بُيوتهم ... ليست عداوتنا كبرق الخلب

(٢) الديوان / ١٦٧.

والعجرمة: العدو الشديد.

(٣) الديوان ٦٠. وسبق إيضاح الغريب.

(٤) الديوان / ٦٧، والسابغة: الدرع الواسعة، والعلني: الفرس الضخمة

(٥) الديوان / ١٢١. وسبق إيضاح الغريب.

والسيف بأنه مثل الغدير منقش والقوس بأنها محددة والسهم بأنه مرقق عريض الحد ويقف عند الحصان فيشبهه بالثور الوحشي في قوته ونشاطه وبالظبي في سرعة جريه .

ويغدو إلى الحرب مع فتيان قومه على خيول ضامرة البطون سريعة العدو مخضبة بالزعفران قوية ضخمة :

وكم من فتيةٍ أبناءِ حَربٍ ... على جُرْدٍ ضوامِرَ كالقداح[1]
بساهمةٍ خُضبنَ بجاديات ... سوابقُهن كالحدأ الصحاح
وصفٍ ما تساير حُجرتاه ... تبشره الأشائمُ بالشياح
شهدتُ طرادَه بأقبَّ نهد ... كتيسِ الربْلِ معتدلٍ وقاحِ[2]

ويصف الخيل المغيرة بأنهار زروع أرسلت مياهها فامتدت بها :

ولما رأيت الخيلَ زُورا كأنها ... جداولُ زرعٍ خُلِّيتْ فاسبطرَّت[3]

ويصف الحرب فيقول:

الحربُ أولَ ما تكونُ فتيةٌ ... تَسْعَى ببزتها لكُلِّ جهُول[4]
حتى إذا حميت وشَبَّ ضِرامُها ... عادتْ عجوزاً غيرَ ذاتِ حَلِيل
شمطاءَ جَزَّتْ شعرَها وتنكرَتْ ... مكروهةً للشمِّ والتقبيل

فهي أول ما تبدأ فتاة جميلة لعوب تغري الجهول حتى إذا ما حميت واشتدت صارت عجوزا شمطاء مجزوزة الرأس مخيفة مكروهة للشم والتقبيل .

---

(١) الديوان ٥١ ـ ٥٢ .

(٢) الأقب : الضامر. والنهد : الفرس القوي الضخم «وفي اللسان الربل : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر يقال منه تربلت الأرض .

(٣) الديوان ٤٣ .

الجداول : الأنهار الصغيرة، اسبطرت : امتدت في سرعة .

(٤) الديوان / ١٥٦ .

وفي الأبيات التالية يتحدث عن مشهد دامٍ يبدأ باللقاء وينتهي بالنصر المبين:

ولقد تعارفت الضِبابُ وجعفرٌ ... وبنو أبي بكر بنو الهِصَّان[1]

سبيا على القُعُدات تخفق فوقَهم ... راياتُ أبيض كالفنيقِ هِجان[2]

والأشعثُ الكنديُّ حين سما لنا ... من حضرموتَ مُجنب الذُّكران

قاد الجيادَ على وِجاها شُزَّبا ... قُبَّ البطون نواحلَ الأبدان[3]

حتى إذا أسرى وأوب دوننا ... من حضرموت إلى قَضيبِ يمان[4]

أضحى وقد كانت عليه بلادُنا ... محفوفةً كحظيرةِ البُستان

فدعا فسوَّمها وأيقن أنه ... لا شك يومُ تسايُفٍ وطِعان

لما رأى الجمعُ المُصبّحُ خَيلَهُ ... مبثوثةً ككواسر العُقْبان

فَزِعوا إلى الحُصُنِ المَذاكي عندهم ... وسطَ البيوت يَرِدْن في الأرسان[5]

خيل مُرَبَّطة على أعلافها ... يُقْفَين دُون الحي بالألبان[6]

وسعت نساؤهم بكل مُفاضَةٍ ... جَدْلاء سابغةٍ وبالأبدان[7]

فقذفنهُنَّ على كُهولٍ سادة ... وعلى شرامحةٍ من الفتيان[8]

---

(١) الديوان / ١٨٥ ـ ١٨٧ . الهصان: لقب عامر بن كعب بن أبي كلاب.

(٢) القُعْدَةُ من الدواب: الذي يقتعده الرجل للركوب خاصة.
الفَنيق: الفحلُ المُكْرَم، والهِجَان من الإبل: البِيض يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع يقال: بغير هجان، وناقة هِجان، وإبل هجان.

(٣) وَجِي الفرس: هو أن يجد وجعًا في حافره. شزب: جمع شازب وهو الضامر. قُب: ضامره.

(٤) قضيب: من أودية اليمن وتهامة

(٥) المَذَاكي: الخيل التي قد أتي عليها بعد قُروحها سنة أو سنتان.
الرَدْن: صوت وقع السلاح بعضه على بعض، ولعل المراد به هنا أصوات الخيل. وحمحمتها

(٦) يُقفين: يؤثرن ويكرمن، والقفي: ما يكرم به الضيف.

(٧) المفاضة: الدرع الواسعة. جدلاء: منسوجة. السابغة: الدرع الواسعة.

(٨) الشرامحة: جمع شرمح وهو الطويل القوي

حتى إذا خَفَتَ الـدُّعـاءُ وصُرِّعت قتلى كمُنْقعـرٍ من الغُـلاَّن(١)
نَشَـدوا البقيـة وافْتـدوا من وقعِنـا بـالركـض في الأدغال والقيعـان(٢)
واستسلمُـوا بعـد القِتـال فإنما يَتَرَبَّقُـون تـربُّـق الحِمـلان(٣)
فـأصيـب في تسعين مـن أشرافهـم أسرى مُصَفَّـدة إلى الأذقـان
فَشَتَـا وقـاظ رئيسُ كِنـدة عنـدنـا في غير منقصـةٍ وغيرِ هـوان

إنها مقـدرة فنيـة مـذهلـة، وتصـويـر قصصي بـارع، ورسم لتفصيـلات المعركـة، وما فيهـا من حركـات، وأفعال وأوضـاع وأشكال وألـوان وأصوات ورايات وأدوات.

بدأ بتصوير التحالف بين الأعداء واتفاقهم، وكيف استقلوا الدواب تخفق فـوق رءوسهم الرايـات، وقد تجنب رئيسهم العلن، وسـاروا مستخفين حتى أنهكـوا جيادهم من طـول السرى والتأويب، وذلك من حضرموت إلى ديـار الشاعر التي أحاطت بهم وحفتهم من كل جانب.

وكيف أدرك رئيس كنـدة أن اليـوم يوم ظلم وطعـان، فيبث خيلـه في كل مكـان ويفتح أهل الحي أعينهم على هـذا المشهـد، فيهـرعـون مسرعين إلى جيادهم المتأهبة دائما، يعينهم نسـاؤهم في اتخاذ أهبتهم، ويهبن بهم أن يتولوا أمر هؤلاء المغيرين ويـردوهم، فيتراكض الأبطال شِيبا وشُبانـا وينشب القتال ويحمى وطيس المعركـة ويتصاول القساورة الأشاوس فتفعل السيـوف فعلها، إلى أن يخفت صوت الفرسـان وتتكشف المعركة عن قتلى كثيرين، غير من لاذ بـالفرار وافتـدى نفسـه بـالركض بين الأدغـال والقيعـان، وغير من أسر من السـادة والأشراف الـذين بلغ عـددهم التسعين، صفـدوا حتـى أذقـانهم

(١) قعرت الشجرة: قلعتها، الغلان: جمع غال. نبات معروف.
(٢) الأدغال: الشجر الكثير الملتف.
(٣) التربق: الوقوع في الرِبق، وهو حبل يُشد به.

بالسلاسل وعلى رأسهم رئيسهم الذي قضى الصيف والشتاء في ديار الشاعر مكرما معززا .

واقرأ هذه الأبيات التي يتحدث فيها عن معاركهم الدامية وكيف علا النقع جبل جند فأصبح كأنه شيخ عاصب رأسه بخمار:

ونحن هزمنا جيشَ صَعْدَة بالقنا ونحن هزمنا الجيشَ يوم بوار (١)

جوافل حتى ظل جُنَّد كأنه من النقع شيخٌ عاصبٌ بخمار (٢)

ويصف الأبطال في موضع الحبيا وقد تساقطوا صرعى بالأقواس نحولا وانحناء قد براهم السير فهم شعث بائسون :

بمعترك شَط الحُبَيّا ترى به من القوم محدوسًا وآخر حادسا (٣)

تساقت به الأبطالُ حتى كأنها حَنِيٌّ براها السيرُ شُعثا بوائسا (٤)

فإذا غادرنا ميادين الحرب بما فيها من معارك وكتائب وفرسان وخيل وسلاح ، وجدناه يصف الطبيعة وما فيها من مشاهد ، وصفا عابرا مقتضبا فهو الفارس المحارب لا يشغل باله سوى الحرب والكر والفر.

فوصف أطلال محبوبته وبكاها :

لمن الديار بروضة السُّلاّن فالرَّقمتَين فجانب الصَّمّان (٥)

---

(١) الديوان / ١٠٧ . وبوار ملك من ملوك اليمن .

(٢) جند : جبل باليمن .

(٢) الديوان / ١٣ .

والحبيا : موضع . وشطه : ناحيته . وحدس به الأرض حدسا : وضربها به . وحدس الرجل : وطئه .

(٤) الحَنِيَّةُ : القوس والجمع حَنِيٌّ

(٥) الديوان / ١٨٤ . في معجم البلدان السلان : أرض تهامة مما يلي اليمن . الرَّقْمَتَان : تثنية الرَّقمة ، وهو مجتمع الماء في الوادي ، وقيل جانبه ، وقيل الروضة وقيل إنهما روضتان بناحية الصَّمّان ، وقيل إنهما روضتان في بلاد بني العنبر وقيل غير ذلك والصَّمّان : أرض فيها غلظ وارتفاع وفيها قيعان واسعة وخَبَارى تنبت السدر، ولا تزال تعرف بهذا الاسم إلى اليوم وهي تقع إلى الشمال الشرقي لمدينة الرياض

لعبت بها هـوجُ الـريـاح وبُـدِّلت بعـــد الأنيس مكـــانسُ الثيران
فكأن مـــا أبقين مـن آيـــاتها رقـمٌ ينمق بـــــالأكـف يماني[1]

وصور المنازل المهجورة فقال :

ومنـــزلـةٍ فيهـــا العـــوالي كأنها هشيمُ شِجـار كسَّرتها الحواطبُ[2]

ويصف محبوبته فيقول:

دارٌ لعمـــرةَ إذ تُـــريكَ مفلحـــا عـذبَ المذاقـةِ واضحَ الألـوان[3]
خِصَرا يُشبَّـه بـــردُه وبيـاضُـــه بـالثلج أو بمنـــوَّرِ القحـوان[4]
وكأن طعـمَ مـــدامـــةٍ جبليـــةٍ بـالمسكِ والكـــافـورِ والـريحانِ
والشهـــدُ شيـبَ بماءِ وردٍ بـــاردٍ منهـــا على المتنفسِ الـــوهنـــانِ
وأغـــرَّ مصقـولاً وعيني جُـــؤذر ومُقلَّـــدًا كمقلـــدِ الأدمـــانِ[5]

فطعم مذاقها يشبه مذاق الخمر على المسك والكافور والريحان أو الشهد، وجيدها يشبه بالسيف المصقول استقامة وإشراقا، وعيناها كعيني الغزال.

وأخيرا إليك هـذه الصورة الـرائعة التي تعبر عن أرقـه وهمومه وتفكيره بعـد قتل بني مازن لأخيه :

أرقـتُ وأمسيـتُ لا أرقـــــد وســـاورني الموجعُ الأســـود[6]
وبتُّ لـــذكـــري بني مـــازن كـأني مـــــرتفـقٌ أرمـــــدُ

---

(١) الرقم : الكتابة والختم.

(٢) الديوان : ٣٧.

(٣) الديوان / ١٨٤ . الفَلْحَة : الشق في الشقة السفلى.

(٤) الأقحوان : نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر وجمعه أقاحِيٌّ وأقاحٍ.

(٥) الجوذر: ولد البقـرة الوحشية، المقلـد : كمعظم موضع القلادة في العنق، والأدمـان : جمع : أدمة وهي في الظباء ذات لون مشرب بياضا.

(٦) الديوان / ٨٩.

وهكذا وصفه إلا أنـه اعتنى بقوسه وفرسه وسهمه ورمحه ودرعـه وكل ما له صلة بـالحرب، فرددها وقلبهـا في صور شتى، إمعـانا في استيفائهـا، و إبرازا لجوانبها المتعددة.

obeikandl.com

الذم والتهديد

إن حياة عمرو الطويلة الحافلة بالخصومات والتقلبات، الغارقة في لجج الصراع والنزاع، النزاعة إلى المجد والسيادة جديرة بأن تجعل منه شاعرا يهجو ويذم ويتهدد ويتوعد.

بل كيف لا يهجو ولا يتهدد وهو يلقى مثل الموقف التالي: جاء في خزانة الأدب[1]، أن جرما ونهدا وهما قبيلتان من قضاعة كانتا في بني الحارث ابن كعب فقتلت جرم رجلاً من أشراف بني الحارث، فارتحلت عنهم وتحولت في بني زُبيد، فخرجت بنو الحارث يطلبون بدم أخيهم فالتقوا، فعبأ عمرو جرما لنهد، وتعبأ هو وقومه لبني الحارث ثم إن جرما اعتلت بأنها كرهت دماء نهد ففرت من المعركة وهزمت يومئذ بنو زبيد. فقال عمرو يلوم جرما من قصيدة له[2]:

لحا الله جَرْمًا كلما ذرَّ شارقٌ ... وُجُوهَ كِلابٍ هارَشَتْ فازبأرَّت[3]

فلم تُغنِ جرمٌ نَهْدَها إذ تلاقتا ... ولكن جَرْمًا في اللقاء ابْذعرت[4]

وقفتُ كأني للرماح دَريئةٌ ... أُقاتلُ عن أحسابِ جَرْمٍ وفرَّت[5]

فلو أن قومي أنطقتني رماحُهُم ... نطقتُ ولكن الرماحَ أجرَّت[6]

---

(١) خزانة الأدب ١/ ٤٢٢.

(٢) الديوان: ٤٤.

(٣) لحاه الله: أهلكه. وذرت الشمس: طلعت، وشارق: الشمس. وهارشت: من المهارشة، وهي تقاتل الكلاب، وازبأرت: انتفشت حتى ظهر أصول شعرها وتجمعت للوثب.

(٤) ابذعرت: تفرقت وتبددت.

(٥) الدريئة: الحلقة التي يتعلم عليها الرامي الطعن والرمي عليها.

(٦) أجرت: الإجرار شق لسان الفصيل لئلا يرضع.

ويا له من شعر رصين عميق المعنى صادق التصوير ينبض بالمرارة البالغة والحرقة الشديدة. من عمل جرم النذل، استجارت بهم فأجاروها وقاتلوا معها ثم فرت من المعركة وتركت عمرا وقومه يواجهون الهزيمة.

ومهجوو عمرو كثيرون، جُلُّهم من علية القوم وسادتهم، فمنهم قيس ابن مكشوح سيد بجيلة وفارسها، قال فيه بعد أن دعاه إلى الإسلام فأبى وسفه رأيه:

أمرتُك يوم ذي صنعاء أمرا بينا رَشَدُه[1]
أمرتك باتقاءاللـ ـه تأتيه وتتعِدُه
فكنت كذي الحُمَيِّر غر ه من عيره وَتِدُه

وقال يتهدده ويتوعده:

ومن عجب عجبت له حديثٌ بديعٌ ليس من بِدعِ السَدَاد[2]
تمنى أن يُلاقيني قُيُيسٌ وددتُ وأينما مِني وِدادي
تمناني وسابغتي دِلاصٌ كأن قتيرهَا حِدقُ الجراد[3]
مُضاعفةٌ تخيرها سليمٌ خروسُ الحسِ مُحكمةُ السراد[4]
وسيفٌ لابن ذي قيفان عندي تخيره الفتى من عهد عاد[5]
يقد البيضَ والأبدانَ قدا وفي الهام المُلملمِ ذُو احتدادِ
ورُمحي العنبري تخالُ فيه سنانا مثل مقباسِ الزِّناد[6]

---

(١) الديوان / ٨٣.

(٢) الديوان: ٦١ ـ ٦٤.

(٣) السابغة الدلاص: الدرع الواسعة البراقة الملساء، والقتير: مسامير الدروع.

(٤) سليم: هو النبي سليمان عليه السلام ولعله أخذ ذلك عن الجالية اليهودية التي سكنت اليمن آنذاك وإلا فالمشهور بذلك هو داود عليه السلام. ومحكمة السراد: محكمة الخَزْز.

(٥) انظر ص ٦٣ من الديوان ففيها تعريف بابن ذي قيفان.

(٦) انظر ص ٦٣ من الديوان.

وعجلـــزةٍ يـــزل اللبـــدُ عنهـــا أمَـــرَّ سراتها حلقُ الجيـــاد[1]
إذا ضربَـتْ سمعت لها أزيـــرًا كـــوقعِ القطـــرِ في الأُدم الجلاد[2]
فلـــو لاقيتنـي ومعي ســـلاحي تكشف شَحْـمُ قلبك عن ســـوادِ
إذًا لـــوجـدت خـــالَك غيرَ نِكْسٍ ولا متعلمًا ضربَ الـــوحـــاد[3]
يقلب لـــلأمـــور شرنبثـــات بأظفـــارٍ مغـــارزُهـــا حِـداد[4]

يتهكم به حين تمنى قتلـه قائلا: أنى له ذلك؟ وهل تدبـر أمره وعرف من الذي يتوعده ويتهـدده؟ إنه فارس ذو درع حصينة واسعة براقـة ملساء تشبه مساميرهـا حلق الجراد، وسيف عريق ورمح عنبريـة ذات أسنة ناريـة وفرس قـوية مـدربة ولـو قابلني لعجـز عن مـواجهتي ولأكل الحقد قلبـه وتكشف شحمه عما به من الحقـد ولوجدني غير دنيء ولا ساقطـا ولا ضعيفا وإنما قوي قادر ماهر لا يعبأ بالملمات.

وقال يعيره غدره بالأبناء وقتله داذويه ويذكر فراره من فيروز:

غـــدرتَ ولم تُحسِنْ وفـــاءً ولم يكن ليحتمل الأسبـــابَ إلا المعـــوّد[5]
وكيف لقيـسٍ أن ينـــوطَ نفسَـــهُ إذا مـا جـرى والمضرجيُّ المسـود[6]

وقال ساخرا يهجو رجلا اسمه أبي بن ربيعة بن صبح من كنانة من مذحج مشبها إياه بالنعامة:

تمنـــــــــاني ليقتلنـــي أبيٌّ نعـــامـــةَ قفـــرةٍ بغت المبيضـــا[7]

---

(١) انظر ص. ٦٣ من الديوان.
(٢) الأدم الجلاد: الجلود الصلبة.
(٣) النِكس: الرجل الضعيف.
(٤) الشرنبث: الغليظ الكفين والرجلين
(٥) الديوان / ٨٩.
(٦) «المضرجي»: الصقر والرجل السيد.
(٧) الديوان / ١٢٥.

ويتهدده فيقول:

وابنُ صبحٍ سادرًا يُوعدني ماله في الناسِ ما عشتُ مجير[1]

ويخاطب العباس بن مرداس فيقول من قصيدة له:

أعباسُ لو كانت شيارًا جيادُنا بتثليثَ ما ناصيتَ بعدي الأحامسا[2]

لدسناكم بالخيل من كل جانب كما داس طباخُ القدورِ الكرادِسَا[3]

بمعترك شط الحُبيّا ترى به من القوم محدوسًا وآخرَ حادسا

تساقت به الأبطال حتى كأنها حَنيٌّ براها السيُر شعثا بوائسا

ولكنها قيدت بصعدة مرة فأصبحنَ ما يمشين إلا تكاوسا[4]

هكذا ويمكن أن تعد هذه القصيدة أصلاً من الأصول الأولى للنقائض التي ازدهرت في العصر الأموي وحمل رايتها جرير والفرزدق فقد قِيلت في الرد على قصيدة من الوزن نفسه والقافية نفسها للعباس بن مرداس مطلعها:

لا سماءَ رسمٌ أصبح اليوم دارسا وأقفر منها رحرحان فراكسا

ويتضح من هذه النماذج السالفة أن هجاءه وذمه وتهديده لم يكن فيه فحش ولا إقذاع ولا إفراط يسلكه في عداد الشعراء الهجائين الذين طبعوا شعرهم بهذا الطابع، وإنما يغلب عليه التهكم والسخرية فهو يذم بالجبن ويصف مهجويه بالغدر والخيانة ويتهددهم بالقتل والفتك. معان استمدها من بيئته الاجتماعية وحياته الحربية.

---

(١) الديوان / ١٠٢.

(٢) الديوان: ١١٣

والشيار: السمان الحسنة المنظر. والأحامس: الأشداء.

(٣) الكرادس: العظام

(٤) صعدة: بلدة باليمن لا زالت تحمل هذا الاسم إلى اليوم. والتكاوس: التقاعس.

ورأيناه يهجو تارة بقصائد خاصة وتارة يبثه في ثنايا فخره. وتارة يقصره في بيت أو ثلاثة كهجائه لابن صبح وقيس بن مكشوح. ويبدو أنه لم يصلنا من ذمه وتهديده إلا القليل. وأغلب الظن أن معظمه قد ضاع وفقد.

obeikandl.com

الغزل

معلوم أن حياته الأولى حياة حب وغرام ولهو وهيام عيث وعبث، لعب ولهو، خمر ونساء.

وطبيعي أن يتحدث عن عشقه وهيامه ووجده وغرامه بالغانيات الفاتنات:

والغانيات يُقَتِّلْن الرجالَ إذا ضرجن بالزعفران الريطَ والنُقبا (١)
من كل آنسةٍ لم يغذُها عدم ولا تشدُّ لشيء صوتَها صَخَبا (٢)
إن الغواني قد أهلكنني وأرى حبالَهن ضعيفات القُوى كذبا

واستمع إليه يتحدث عن لهوه وغرامه مع الغواني اللواتي طلين ثيابهن بالزعفران يمشي حولهن ويطوف، قد سبته محاجرهن وشعورهن، وشاقته أسنانهن شديدة الصفاء، تفوح منهن رائحة البخور:

وأبكارٍ لهوتُ بهن حِينا نواعمَ في أسرتِها الرُّدُوعُ (٣)
أُمشِّي حولها وأطوفُ فيها وتُعجبني المحاجرُ والفروع (٤)
إذا يضحكن أو يبِسمن يومًا ترى بردًا ألحَّ به الصقيع (٥)

---

(١) الديوان / ٢٨.
وضرجن: لطخن.
وفي القاموس: الريطة: كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة أو كل ثوب لين رقيق.
وفي اللسان (النقاب): القناع على مارن الأنف والجمع نقب.
(٢) الصَخَبُ: الصياح والجبلة.
(٣) الديوان / ١٣٧.
والأسرة: الخطوط في الكف، والردوع: الزعفران.
(٤) المحاجر: هو ما دار بالعين من العظم الذي في أسفل الجفن وهو الذي يبدو من النقاب، والفروع جمع فرع وهو الشعر التام.
(٥) البرد: بفتحتين حب الغمام، والصقيع الجليد.

كأن على عـــوارضهـن راحًـــا يُفَضُّ عليـــه رمـــانٌ يَنيعُ (١)
تـــراهـا الـــدهـــرَّ مُقترةً كِبـــاءً وتقـــدحُ صحفـــةً فيهـــا نَقيع(٢)
وصِبغُ ثيـــابها في زعفـــرانٍ بجُـــــدَّتِها كما احمر النَّجيعُ (٣)

قطع الفـلاة الواسعـة الخالية الموحشـة المليئـة بالـذئاب والجيف والجن في سبيل محبوبته .

فكم مـن غـائط مـن دون سَلْمَى قليل الأنْـس ليس بـــه كَتيعُ (٤)
بـه السرحـانُ مفترشًـا يـديـه كأن بيـاضَ لُبَّتـه الصَّـديعُ (٥)
وأرضٍ قـــد قطعـت بها الهَواهي من الجِنَّـان سَرْبَخُهـا مليعُ (٦)
تـــرى جِيفَ المطـيِّ بحـافَتيْـه كأن عظـامَهـا الـرَّخَـمُ الـوقـوعُ

مازاده عذال سلمى إلا حبا :

ورُبَّ مُحرِّشٍ في جنـب سلمـى يُعَلُّ بعيبِهـا عنـدي شفيع(٧)

---

(١) العوارض : جمع عارض ، وهو من الفم ما يبدو منه عند الضحك .
الينيع : كاليانع مثل النضيج والناضج . والراح : الخمر .

(٢) مقترة : من القتار ، وهـو ريح البخور . والكِباء : العـود . تقدح : تغرف ما في الصحفـة أو القدر .
والصحفة : شبـه قطعة مسلطحـة عريضة ، وهي تشبـه الخمسة أو نحوهـم . النقيع : ما ينقع في الماء .

(٣) الجدة : بالضم الطريقة والجمع جُدد . قال الله تعالى : ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر﴾ أي طرائق تخالف لـون الجبل . وجد الشيء يجد جـدة بكسر الجيم فيهما صـار جـديدا وهـو نقيض الخلق .
النجيع : الدم .

(٤) الديوان / ١٤٢
والغائط : المطمئن من الأرض الواسع . وليس به كتيع : أي أحد .

(٥) السرحان : الذئب ، اللبة : وسط الصدر والمنحر . الصديع : الصبح .

(٦) الهواهي : ضوضاة الجن ، الواحدة هوهاة . والسربخ : الأرض الواسعة . والمليع : المفازة .

(٧) الديوان : ١٣٧
والتحريش : الإغراء بين القوم ، ويُعل : من العلل وهو الشربة الثانية .

وفي ريحانة يقول بعد أن فارقته :

هاج لك الشوقُ من ريحانةَ الطربا إذ فارقتك وأمست دارُها غُرُبا[1]

مازلت أحبسُ يومَ البين راحلتي حتى استملوا وأذرَت دمعها سَرِبا

حتى ترفَّع بالحُزَّان يركضها مثلَ المهاة، مَرَتْه الريحُ فاضطربا[2]

ووقف بديار الأحبة وناداها :

ديارٌ أقفرت من أُمِّ سلمى بها دَعَسُ المعزَّب والمراحِ[3]

وقفت بها فناداني صحابي أغالَبك الهوى أم أنت صاحي

ويا لها من ديار خلت من الأحباب فأصبحت مأوى للظباء وبقر الوحش،

لمن طللٌ بالعَمْثِ أصبح دارسا تبدل آراما وعينا كوانسا[4]

تبدل أدمانَ الظباءِ وحيرما وأصبحتُ في أطلالها اليومَ حابسا[5]

ويقول في هذا الصددِ أيضًا :

لمن الديار بروضة السُّلان فالرَّقْمتَين فجانب الصَّمّان[6]

---

(١) الديوان / ٢٧

(٢) في الحزيز: المكان الغليظ المنقاد. ومرت الريح السحاب : إذا أنزلت منه المطر.

(٣) الديوان / ٥١

والدعس : الأثر وفي اللسان دعست الإبل الطريق تدعسه دعسا : وطئته وطأ شديدا . وعزب إبله : بيتها في المرعى .

وفي مختار الصحاح : سرحت الماشية بالغداة وراحت بالعشى تروح رواحا أي رجعت . والمراح بالضم حيث تأوى إليه الابل والغنم بالليل . والمراح بالفتح : الموضع الذي يروح فيه القوم أو يروحون إليه كالمغدى من الغداة .

(٤) الديوان : ١١٢ . وفي اللسان : العمق : ما بعد من طرف المغارة، وفي معجم البلدان العمق : واد . والآرام : الظبا البيض البطون . والعين : بقر الوحش . والكوانس : المقيمة في أكنستها، وكناس الظبي والبقرة : بيتها .

(٥) في القاموس : الأدمة بالضم في الإبل : لون مشرب سوادا أ وبياضا أو هو البياض الواضح أو في الظباء لون مشرب بياضا والجمع آدُم وأُدمان بضمهما والحيرم : بقر الوحش .

(٦) الديوان / ١٨٤ . وانظر ص .

لعبت بها هـوجُ الـريـاح وبُـدلت بعـد الأنيس مكـانسُ الثيران
فكأن مـا أبقين مـن آيـاتها رقـمٌ يُنمَّـق بـالأكـف يماني

براه الحب وأضناه الوجد وحن إلى محبوبته حنين الناقة الثكلى بأولادها :

لعمـرُكَ مـا ثـلاثٌ حـائماتٌ على رُبَعٍ يَـرعنَ ومـا يَـريعُ (١)
ونـابٌ مـا يعيشُ لها حُـوارٌ شـديـدُ الطعـنِ مِثكـالٌ جَـزوع (٢)
سـديـسٌ نَضَّجتـهُ بعـد حَمْل تحرَّى في الحنين وتستليـع (٣)
بأوجـعَ لـوعـةً مِني ووجـدًا غـداةَ تَحَمَّلَ الأنَسُ الجَميع (٤)

وحتى في ميادين الحرب والفروسية لم تفارقه تباريح الوجد والغرام فها هو في معركة القادسية يهتف بحبه لسلمى ويخاطبها مفتخرا :

ألِمْ بسلمى قبل أن تظعنـا إن لنـا من حُبِّهـا ديـدنـا (٥)
قـد علمت سلمى وجـاراتُها مـا قطـر الفـارسَ إلا أنـا
شككت بـالـرمحِ حيـازيمَـه والخيـل تعـدوُ زِيماً بيننـا

---

(١) الديوان / ١٤٣
ثـلاث : يريـد من النوق، وحـائمات : طائفـات، والرُّبع : الفصيل الـذي ينتج في الربيع وهـو أول النتاج . ويرعن وما يريع : يرجعن وما يرجع .
(٢) الناب : الناقة المسنة . والحوار: ولد الناقة حين يوضع إلى أن يفطم فيصير فصيلا، والمثكال : التي فقدت أولادها .
(٣)السـديس من الإبل : مـا دخل في الثامنـة . . . نضجتـه أي زادتـه وقت الولادة . تحرى : تتحـرى تستليع من اللوعة وهي حرقة القلب من الحزن ونحوه .
(٤) الأنس : الحي المقيمون . والجميع : المجتمعون .
(٥) الديوان / ١٧٥ .

المديح

لم يكن عمرو من الشعراء المداحين المتكسبين فقد أغنته فروسيته ومنزلته واعتزازه بكرمه ومجده من أن يتخذ الشعر وسيلة للكسب والعطاء

أعاذلُ إنه مالٌ طريفٌ أحبُّ إلي من مال تلاد[1]

ويبقى بعد حلم القومِ حلمي ويفنى قبلَ زادِ القومِ زادي

ولذلك صرف مدحه في الثناء على عشيرته وقومه والافتخار بهم وتعداد فضائلهم وتمجيد بطولاتهم:

فما جمعٌ ليغلب جمع قومي مكاثرةً ولا فردٌ لفرد[2]

ويقول:

أخبر المخبَر عنكم أنكم يومَ فيفِ الريح أُبتم بالفلج[3]

وكان يكبر شجاعة الشجعان ولذلك نراه يثني على شجاعة السليك بن السلكة:

وسيري حتى قال في القوم قائلٌ عليك أبا ثورٍ سُليكَ المقانبِ[4]

فرُعتُ به كالليث يلحظُ قائما إذا رِيعَ منه جانبٌ بعد جانبِ

---

(١) الديوان/ ٦١

وسبق معنى الطريف والتلاد ص

(٢) الديوان / ٨١.

(٣) الديوان / ٤٧.

والفلح: الظفر والفلاح.

(٤) الديوان / ٣٢ـ٣٣.

في القاموس المقانب: الذئاب الضارية.

لـه هـامـةٌ مـا تأكُلُ البَيْضُ أُمَّهـا وأشباحُ عاديٍّ طـويلِ الرَّواجب[1]

كما مدح خالد بن سعيد وكان النبي ﷺ قد بعثه واليا على صدقات اليمن وقيل إنه مدحه بعد أن من على أسرى زبيد :

فقلت لبـاغي الخير إن تأت خالـدًا تُسرُ وترجع نـاعمَ البالِ حـامدا[2]

ووهب له سيفه الصمصامة وقال يمدحه :

وهبتُ لخالـــدٍ سيفي ثـــوابـــا على أم صمصامة أم سيف أم سلام[3]

خليـلٌ لم أهبـــــه مـن قِـــــلاه ولكنَّ أم تـــواهـب في أم كـــرام[4]

خليلـم لم أخنـــــــه ولم يخنـي كـــذلك مـا خـــلا لي أو نـــدامي

حبـوتُ بـه كـريمًا مـن قـريش فسُرَّ بـــــه وصِينَ عـن اللئـــام

وكان وفيـا يعترف بالجميل لأهله، أسره المجالح بن عمـرو الهمداني ثم منَّ عليه وأطلقه فهب يهدي إليه جزيل الثناء :

لعمـري لقـد منَّ المجـالحُ مِنَّـةً عليَّ فنعما هـا لـه آخـر الـدهـر[5]

وهكذا : مدح ولكنه مدح قليل خال من الاستجداء، مدحٌ بالشجاعة والقوة والفروسية والبطولة والوفاء .

---

(١) في القـاموس : رجل شبح الـذراعين ومشبوحهما : عـريضهما . وفيه أيضـا : الرواجب : مفـاصل أصول الأصابع أو بواطن مفاصلها أو هي قصب الأصابع أو مفاصلها أو ظهور السلاميات أو ما بين البراجم من السلاميات أو المفاصل التي تلي الأنامل .

(٢) الديوان / ٨٧ .

(٣) الديوان / ١٦٢ .

(٤) القلى : البغض . أم تواهب : التواهب : أم كرام : الكرام . أم : أل .

(٥) الديوان / ١٠٣

الحكم والمواعظ

جاءت لـه في الحكمة أبيات قليلة تخللت أشعـاره في مختلف الأغراض ودلت على نظره الصـائب وفكره الثاقب ورأيه السـديد وتأثره بتجارب الحيـاة. فقد علمته تجاربه أن جمال المرء ليـس فيما يلبسه من الثياب وإنما في أصولـه الزكية التي تورث المجد والشرف:

ليـس الجمال بمئـــــــــزرٍ فـــاعلم وإن رُديت بُـــردا[1]
إن الجمالَ معـــــــــادنٌ ومنـــــــــاقـبٌ أورثـنَ مجدا

وأفـادتـه تجاربـه ألا يكلف نفسـه مـا لا يطيق وأن يمضي في الأمـر الـذي يستطيعه:

إذا لم تستطع شيئـــا فـدعـــهُ وجـــاوزه إلى مـــا تستطيع[2]
وصِلـه بـالـزِّمـــاعِ فكلُّ أمـرٍ سما لك أو سمـوتَ لـه وَلُـوعُ[3]

واستفاد من أحـوال السابقين فكم من ملـوك صاروا أذلـة بعد قـوتهم وعزتهم وجبروتهم:

وكـــائن كـــان قبلك مـن نعيمٍ ومُلكٍ ثـابتٍ في النـاس رأسي[4]
قـديـمٍ عهـدهُ من عهـد عـاد عظيمٍ قـاهـر الجبروت قـاسي
فأمسـى أهلُـه بـــادوا وأمسى يُحَوَّلُ مِـن أنـــاسٍ في أُنـــاس
فـــلا يغـــررك ملكُ كُـلِّ ملكٍ يصيرُ لـــذلـــةٍ بعـــد الشماسِ

---

(١) الديوان / ٦٧.
(٢) الديوان / ١٤٢.
(٣) الزماع والولع تقدم معناهما ص.
(٤) الديوان / ١١٦ ـ ١١٧.

وما في الدنيا أحد مخلد:

وكل أخ مفـــارقُـــه أخـــوهُ لعمـــرُ أبيك إلا الفـرقـدان (١)

ولله دره حين قال:

فلـــو أن قـــومـي أنطقتني رمـــاحهُم

نطقـت ولكن الـــرمـــاحَ أجـــرَّت (٢)

فقد أصبح مضرب المثل للرجل يخذله قومه.

وما أروع قوله(٣):

لقـد أسمعتَ لـو نـاديتَ حيًّـا ولكـن لا حيـــاة لِمَنْ تُنـــادي

ولـــو نـارٌ نفختَ بها أضـاءت ولكـن أنـت تَنفـخ في رَمـــاد

أُريـــد حيـاتَـــه ويُـريـــد قتلي عـذيـرك من خليلـك من مُـراد

ومـن يشرب بماء العُبْلِ يُعـــذر على مـــا كـــان من حمى وراد

وكان علي ـ كرم الله وجهه ـ يتمثل بالبيت الثالث إذا نظر إلى ابن ملجم(٤).

---

(١) الديوان / ١٨١. والفردقان: نجمان قريبان من القطب.

(٢) الديوان / ٤٥

والإجرار: أن يشق لسان الفصيل لئلا يرضع أمه ويجعل فيه عود.

(٣) الديوان / ٦٤ ـ ٦٥.

(٤) الأغاني ١٥/ ٢٢٨.